

## وما سواها (319)



على هامش التجديد!!

د. صادق السامرائي

الطبيب النفسي، العراق / أمريكا

إشكالية التجديد تعصف في الواقع العربي منذ القرن التاسع عشر وحتى اليوم ، فالعديد من رموز الأمة أتعبوا أنفسهم في طروحات التجديد وركزوا على الخطاب الديني بأنواعه ، وواجهوا عوائق ومصدات وبعضهم قدم حياته على طبق التجديد .

وكان التجديد إرادة بشرية ، بينما هو إرادة زمنية كونية مفروضة على الموجودات فوق التراب ، فما دامت الأرض تدور فإن التجدد والتغير أمر مفروض ولا يحتاج إلى التوهم بأنه غير قائم ، أو أن هناك ما هو جامد ومتحجر ، خصوصا عندما يتعلق الأمر بالفكر .  
فمهما توهم المتوهمون بأن الجمود ممكن ، فأنهم لا يتوافقون مع إيقاع الدوران ، وتبدل الأحوال المفروضة على الموجودات كافة .

إذن لماذا يطول الحديث عن التجديد وهو أمر واقع ومفروض على كل شئ فوق التراب؟  
يبدو أن البحث في هذا الموضوع يأخذنا إلى تعويق التجديد ، فكل نص سيقرأ بمنظار عصره شئنا أو أبينا .

وهذه إقتربات من مفهوم التجديد:

### أولاً: التجديد والتجميد!!

كلمة تجديد تتردد في مسامع الأجيال منذ عقود عديدة ، وربما منذ إنطلاق مسيرة النهضويين العرب ، وما أفصحوا عن معناها ، ولا جاؤونا بمناهج عملية توضحها وتدل عليها ، فترانا في كل فترة أمام حشود من المجددين ، والمحدثين ، ولكل منهم ما يراه ويتصوره ويحسبه هو الحل ولا حل سواه .

وما أنجزت مفيدا ، بل أقعدت الأمة وكسحتها ، وحولتها إلى ميادين للإحترايات العبيثة المبددة للطاقات والقدرات .

ومعظمها تستهدف الدين ، والتراث ، وما وجدناها تنادي بالعقل والتفاعل مع علوم العصر ، فبالعلم يكون التجديد وبغيره يتحقق التجميد ، وتُحال الأمم والشعوب على التقاعد من الحياة ، وتصبح عالة على الآخرين .

ولهذا تجد مجتمعاتنا تعتمد على غيرها في طعامها وحاجاتها ، لأن العلم ليس طريقها ، والإنهماك بالتجديدات العبيثة سبيلها إلى الرقود والخمود والتبعية ، والإستسلام لإرادة الفاعلين بها كما تقتضي مصالحهم .

تجديد الخطاب الديني ، تجديد التراث ، تجديد التجديد ، ولا نزال ونحن على أعتاب نهايات الربع

إشكالية التجديد تعصف في الواقع العربي منذ القرن التاسع عشر وحتى اليوم ، فالعديد من رموز الأمة أتعبوا أنفسهم في طروحات التجديد وركزوا على الخطاب الديني بأنواعه ، وواجهوا عوائق ومصدات وبعضهم قدم حياته على طبق التجديد

ما دامت الأرض تدور فإن التجدد والتغير أمر مفروض ولا يحتاج إلى التوهم بأنه غير قائم ، أو أن هناك ما هو جامد ومتحجر ، خصوصا عندما يتعلق الأمر بالفكر .

كلمة تجديد تتردد في مسامع الأجيال منذ عقود عديدة ، وربما منذ إنطلاق مسيرة النهضويين العرب ، وما أفصحوا عن معناها ، ولا جاؤونا بمناهج عملية توضحها وتدل عليها

معظمها تستهدف الدين ، والتراث ، وما وجدناها تنادي بالعقل والتفاعل مع علوم العصر ، فبالعلم يكون التجديد وبغيره يتحقق التجميد ، وتُحال الأمم والشعوب على التقاعد من

الأول من القرن الحادي والعشرين ، نادي بالتجديد ، وكأننا مصابون بوسوسة التجديد ، ولهذا ما جدنا شيئاً ، وإنما ندور في دائرة مغلقة مفرغة تستهلك قوانا ، وتمنعنا من الخطو الواثق إلى أمام.

بعد التي واللتيا ، ومرارات التفاعلات وبشاعات التصارعات ، علينا أن نستيقظ من عواصف التجديد المهلكة ، وأعاصيره الفتاكة ، ونرى أن العلم هو طريقنا الأصوب للحياة ، فعندما تكون عقولنا علمية فأنها ستجتهد ، وتنطلق في مشوارها الحضاري المعاصر .

أما القول بالتجديد العميق ، والتوطن فيه ، فقد أوردنا ما أوردنا ، وأورثنا ما لا ينفعنا ، وأقحمنا في مسارات الضياع المتراكم ، والخسران الدائم.

فهل للأمة أن ترى بعيون العقل ، وبمنظار العصر ، وتتحرر من قبضة دعوات التجديد الفارغة ، وكان مشكلتها ومصيبتها ووجيعها فيما لدى شعوب الدنيا وأممها ، وهما الدين والتاريخ .

إن التجديد يصنعه العلم ، ومن لا يتخذ العلم طريقاً ، عليه أن لا يوجع رؤوسنا بدعوات التجديد المنتهية الصلاحية في عصر الأنوار المعرفية الساطعة!!

### ثانياً: التجديد والتشديد!!

الأرض تدور وما عليها يتغير ، وما في الكون الدائب الحركة يتبدل ، فالأحياء والجمادات لا تبقى على حالها وتتوكل مع الطاقات الناجمة عن الدوران ، الذي يمزج العناصر الخلقية ويستولدها ما هو جديد .

وقوانين الكون الدقيقة المنضبطة تجري على الموجودات كافة ، وتحكمها بآلياتها ومقتضيات كينونتها وصيرورتها الواجبة ، اللازمة للتوافق مع إيقاع الحركة والدورانية .

فكل ما في الوجود يتجدد ويتطور ويتوالد ويكتسب خبرات ومعارف وعلوم متفوقة على السابق منها ، فالأجيال المعاصرة تعرف أكثر من الأجيال السابقة ، والأجيال القادمة ستكون ذات معرفة وإدراك أكثر من الأجيال المعاصرة وهلم جرا ، وبهذا تكتسب الأجيال شرعية الإنتماء إلى زمانها ومكانها .

إنه نهر الوجود الدفاق المتواصل الجريان إلى مصبات المطلق المتسع البعيد ، وكل موجة فيه تساهم بقوة دفعه وإنطلاقه في مجراه .

وبما أن المولود يتفوق على الجيل الذي أنجبه ، بما يكتسبه من مدارك تملئها عليه إرادة الدوران الخصبة المتجددة ، فإنه سيرى غير ما رآه الذين جاؤوا به من أرحامهم .

فلكل جيل نظرته وقدرته على التبصر والإدراك ، وقد يتواصل أو يتقاطع مع الذين سبقوه ، ووفقاً لهذا التواكب الحتمي فإن التجديد تحصيل حاصل .

التجديد في كل شيء يتصل بالحياة ، فما كنا نعيشه قبل بضعة عقود غيره الذي نعيشه اليوم .

فكل جيل هو أجدد من جيل قبله ، والجديد يأتي بالجديد ، ومن هنا فإن إعتبار التجديد ظاهرة تستدعي الجهاد والنضال والعمل الدؤوب وكأنها غير موجودة ، سلوك تضليلي ومحاولة لدفع الأجيال إلى الإنحراف والبهتان .

فالتجديد سلوك دائب وقائم في جميع مناحي الحياة والمجتمعات ، فلماذا هذا التطرف في التفكير والنظر العتيق إلى ما هو كائن ودوار ومتجدد رغم أنف المغالين؟

تجديد الخطاب الديني ، تجديد التواضع ، تجديد التجديد ، ولا نزال ونحن على أمتاب نهائيات الربيع الأول من القرن الحادي والعشرين ، ننادي بالتجديد ، وكأننا مصابون بوسوسة التجديد ، ولهذا ما جدنا شيئاً ، وإنما ندور في دائرة مغلقة مفرغة تستهلك قوانا ، وتمنعنا من الخطو الواثق إلى أمام

هل للأمة أن ترى بعيون العقل ، وبمنظار العصر ، وتتحرر من قبضة دعوات التجديد الفارغة ، وكان مشكلتها ومصيبتها ووجيعها فيما لدى شعوب الدنيا وأممها ، وهما الدين والتاريخ

كل ما هي الوجود يتجدد ويتطور ويتوالد ويكتسب خبرات ومعارف وعلوم متفوقة على السابق منها ، فالأجيال المعاصرة تعرف أكثر من الأجيال السابقة ، والأجيال القادمة ستكون ذات معرفة وإدراك أكثر من الأجيال المعاصرة وهلم جرا ، وبهذا تكتسب الأجيال شرعية الإنتماء إلى زمانها ومكانها .

لكل جيل نظرته وقدرته على التبصر والإدراك ، وقد يتواصل أو يتقاطع مع الذين سبقوه ، ووفقاً لهذا التواكب الحتمي فإن التجديد تحصيل حاصل

التجديد هي كل شيء يتصل بالحياة ، فما كنا نعيشه قبل بضعة عقود غيره الذي نعيشه

فهل أنه توجه لإصابة الأمة بمقتل ميبيد!!؟

### ثالثاً: تجديد الخطاب الديني!!

إسطوانة تجديد الخطاب الديني تدور في آفاق المجتمعات العربية خصوصاً والمسلمة عموماً ، وكأن لا دين في الأرض غير دين الإسلام ، والمجتمعات الأخرى بلا دين ، ويتوهم أصحاب هذه النداءات الصاخبة في العديد من المحافل السياسية والعلمية والبحثية ، بأن العلة في الدين ، وبسببه حصل الذي حصل وتدهور الذي تدهور .

وهذا تضليل وأباطيل وخداعات يُراد منها خراب الأجيال ، وتقنيت العرب والمسلمين في كل مكان ، وتحشدهم ضد بعضهم البعض ، وكأن الدين ليس بدين إن لم يتحقق التجديد المزعوم ، ويحسبون الأيام تدور ولا تغير رغماً عن أنف جميع الموجودات فوق وفي التراب .

التجديد سلوك تفرضه قوانين الكون ونواميسه وحكمة الدوران والتبدلات العاصفة بالحياة بأسرها ، فالتغيير أو التجديد لا يمكن حصره بموضوع أو قضية ، لأنه فاعل دائم وشامل وتخضع لمشيئته الموجودات الكونية بأسرها .

والحديث عن تجديد الخطاب الديني ، والمقصود بالدين الإسلام ، نوع من الهذيان والإضطراب التفكير والتعبير عن العجز واليأس ، والتوهم بأن ما أصابنا لأن الدين لم يتجدد ، وهو الذي يجري في نهر الأجيال الدافق منذ إنطلاقه .

ترى لماذا يتم التركيز على تجديد ما هو يتجدد وفقاً لمنظومة إرادة الحياة ودستور التواصل والبقاء ، وحكمة التداول والحفظ ، والتأبد في كيان الإنسان وقلبه وروحه وعقله؟

فهل أن بشر اليوم مثل الذي سبقه قبل عدة قرون؟

إنه بالتأكيد يختلف ولديه من الوعي والمعلومات والمعارف ما لم يتمكن أبناء الأجيال السابقة من الحصول عليها ، فنظروا وفقاً لما عندهم ، وأجيال اليوم ينظرون وفقاً لما لديهم من فيض المعلومات والمعارف ، وحالما ينظرون فأنهم يرون ما لم يتمكن من رؤيته الذين سبقوهم ، من ذوي المعلومات المحدودة أو النزيرة بالقياس إلى ما تعرفه أجيال اليوم .

وهذا يعني أن كل جيل أو بضعة أجيال تعبر عن قراءاتها في جميع ميادين الحياة ومنها الدين ، أما أن تُختصر الحالة بقراءة تجديدية للدين فهذا نوع من الهذيان والغشيان ، علينا أن نتجدد مثلما الحياة تتجدد ، وأن تتفاعل ميادين التجدد لصناعة إرادة الحياة المعبرة عن الإستيعاب المعاصر لجوهرها المتجدد .

فعلت العرب وبعض المسلمين أنهم يتوهمون بأن التأخر مرده إلى عدم التجدد في الدين ، بينما الدين يتجدد ويتزاد ويتوكلب ، وهذه سنة الحياة وإرادة التطور والبقاء ، والحقيقة أن العلة في عدم توظيف العقل العربي في مواجهة التحديات وتلبية الحاجات اللازمة لحياة أفضل ، فالعرب يملكون كل شيء ، وما دام العقل مصادر أو معطل ولا يفقه بالمناهج العلمية والتفكير العلمي ، فأنهم لا يملكون شيئاً ، وتلك حقيقة علينا أن نستوعبها لكي نكون ، فالدين لا علاقة له بالتقدم والتأخر ، وإنما العقل والإرادة والوعي الحضاري المعاصر ، فمجتمعات الدنيا المتفوقة علينا ، لكل منها ربما ألف دين ودين ، فلماذا يتم حشر الدين في مجالات لا ناقة له فيها ولا جمل!!؟

فاستفيقي يا أمتي من رقدة العدم!!

اليوم .

فكل جيل هو أجدد من جيل قبله ، والجديد يأتي بالجديد .

أن إختيار التجديد ظاهرة تستدعي الجهاد والنضال والعمل الدؤوب وكأنها غير موجودة ، سلوك تضليلي ومحاولة لدفع الأجيال إلى الإنحراف والبهتان .

إسطوانة تجديد الخطاب الديني تدور في آفاق المجتمعات العربية خصوصاً والمسلمة عموماً ، وكأن لا دين في الأرض غير دين الإسلام ، والمجتمعات الأخرى بلا دين

التجديد سلوك تفرضه قوانين الكون ونواميسه وحكمة الدوران والتبدلات العاصفة بالحياة بأسرها ، فالتغيير أو التجديد لا يمكن حصره بموضوع أو قضية ، لأنه فاعل دائم وشامل وتخضع لمشيئته الموجودات الكونية بأسرها

الحديث عن تجديد الخطاب الديني ، والمقصود بالدين الإسلام ، نوع من الهذيان والإضطراب التفكير والتعبير عن العجز واليأس ، والتوهم بأن ما أصابنا لأن الدين لم يتجدد ، وهو الذي يجري في نهر الأجيال الدافق منذ إنطلاقه

أن كل جيل أو بضعة أجيال تعبر عن قراءاتها في جميع ميادين الحياة ومنها الدين ، أما أن تُختصر الحالة بقراءة تجديدية للدين فهذا نوع من الهذيان

رابعاً: كل شيء يتجدد!!

في نهر الحياة الجاري , وسلطة الدوران , وما يمليه تعاقب الليل والنهار , لآيات واضحات وأدلة بينات , على أن التجديد هو المعبر الأصدق عن إرادة الحياة.

التجديد يشمل كافة النشاطات والإبداعات , ولكل جيل دوره في مسيرة التغييرات المفروضة على الموجودات.

الكتابة بأنواعها تتجدد.

والشعر أبو اللغة يتجدد , ولكن كيف يكون ذلك؟

فالشعر العربي له تأريخ طويل ومعايير ثابتة , وأساليب وألفاظ متبدلة تدل على عصره.

ولهذا يكون الفرق واضحاً بين ما بين الشعر الجاهلي والعباسي والأندلسي , وما بين شعر القرن العشرين وشعر القرن الحادي والعشرين.

وللشعر ثوابت تدل على أنه شعر , وتشير إلى لغته وما فيها من ضوابط والتزامات , فالأسلوب تأليف الجمل وتراكيبها وتفاعل وتفاعل العبارة مع الفكرة وما يشير إليه , وبهذا يمكن وعي الجمال وتذوق روعة التعبير باللغة.

أي أن اللغة فيها مشتركات تدل عليها وتؤكدها وتدعيها متحدية عوامل التعرية والإنقراض.

وهناك ما يتوافق مع سلطة الدوران التي تحكم الموجودات بالتغيير والتجدد , لكي تبقى وتعاصر وتتوكل مع مكانها وزمانها , لأن الشعر مرآة بينته الذاتية والموضوعية , وحتى الشاعر يجد ما كتبه قبل سنوات غير ما يكتبه الآن , أي أنه يتجدد في قدراته الشعرية , وتتحسن ألفاظه ومفرداته وتتواصل مع الواقع الذي هو فيه , لأن الشعر خطاب ولا بد له أن يكون مفهوماً من قبل المخاطب به , لا أن يكون مصدر إزعاج وتفسير وتشويش.

ومسيرة الشعر العربي فيها العديد من الثورات التجديدية , ستبقى روح التجديد سارية فيه.

ومن أهمها إختيار الألفاظ المتناسبة مع العصر , والمعبرة عن عناصره بوضوح , والتفاعل مع الأغراض المتوافدة إليه,

فأغراض الشعر تتجدد وألفاظه طذلت , ولا يجوز المشاش بكينونته وعلاماته الفارقة التي تميزه عن صنوف الإبداع الأخرى.

ويمكن مقارنة تجديد الشعر بتجديد الموسيقى.

فللشعر ألفاظ رشيقة تناسب عصره!!

خامساً: التأسسية!!

تأسن: إستتقع وتعفن

ظاهرة سلوكية فاعلة في الوعي الجمعي للأجيال , يعززها المثقفون والكتاب والمفكرون من أبناء الأمة.

وخلصتها أن الأمة غير قادرة على أن تأتي بجديد معاصر يعالج مشاكلها ويواجه تحدياتها , فنتدحرج متقهقرة إلى الوراء , وترى أن الذين عاشوا في تأريخها منذ عدة قرون , يمتلكون الحلول لمشاكلها المعاصرة.

والغثيان

علينا أن نتجدد مثلما الحياة تتجدد , وأن تتفاعل مباديها والتجدد لصناعة إرادة الحياة المعبرة عن الإستيعاب المعاصر لجوهرها المتجدد

أن العلة في عدم توظيف العقل العربي في مواجهة التحديات وتلبية الحاجات اللازمة لحياة أفضل

ما دام العقل مصادر أو معطل ولا يفقه بالمناهج العلمية والتفكير العلمي , فإنهم لا يملكون شيئاً

الشعر مرآة بينته الذاتية والموضوعية , وحتى الشاعر يجد ما كتبه قبل سنوات غير ما يكتبه الآن , أي أنه يتجدد في قدراته الشعرية , وتتحسن ألفاظه ومفرداته وتتواصل مع الواقع الذي هو فيه

التأسسية ظاهرة سلوكية فاعلة في الوعي الجمعي للأجيال , يعززها المثقفون والكتاب والمفكرون من أبناء الأمة.

هذا يرى أن على ابن رشد أن يستيقظ , ليحالج ما نحن فيه من أوجاع فكرية وتدابير هذيانية وضلالية

ما هذا التفهيم والإبتلاء؟

ولماذا التوكل بما مضى وما

إنقضى؟

فهذا يرى أن على ابن رشد أن يستيقظ ، ليعالج ما نحن فيه من أوجاع فكرية وتداعيات هذيانية وضلالات.

وآخرون يحصلون ابن خلدون مسؤولية ما نحن فيه ، ويستخدمون طروحاته ونظرياته لتسويغ وتبرير نكباتنا ، وكأن ما قاله قبل أكثر من ستة قرون عليه أن يحضر ليعفينا من المسؤولية.

فهؤلاء منشغلون بحل مشاكل الأموات والإندساس في الأحداث ، وكأن الأرض لا تدور ، والزمن متصل في مكانه ، الذي يريدونه أن يعود إلى حاضر لا يعرفه ولا يدريه.

وما أن تتناول موضوعا حتى ركوه عشرات القرون إلى الوراء!!

فما هذا التقهقر والإبتلاء؟

ولماذا التوحد بما مضى وما إنقضى؟

أمة تتوافد فيها العقول ، وقد تحنطت وتعطلت قدراتها ، وإستدارت إلى الخلف البعيد ، وإستحضرت عدسات الغايات ، ونظرت بعيون الرميم ، وتحسب أنها تجيد وتفكر وتأتي بما يفيد.

إن ما يجري في واقع الأمة يشير إلى تأسن الأجيال ، وتورطها في مستنقعات لا يتحقق الخلاص من وبالها إلا بردمها ، وإبادة ما فيها من العطايا والآفات والحشرات.

إن الحياة نهر متدفق الجريان ، لا يقبل التردد في حفر بئسة شنعاء.

فعلينا أن نفعل عقولنا ، ونحترم ماضيها ، لا أن نتساقط فيه ، كأننا البعوض الذي يحترق بالضياء.

إننا بشر معاصر ، لديه عقل وإرادة ، وطاقات عليه أن يفعلها ويطلقها لتصنع رسالتها الوضاءة.

فالأجداد نأخذ منهم العبر ، وليسوا مطبات لإسقاطنا في الحفر!!

فهل من وثبة نكون!!؟

والخلاصة أن التجديد هو التفاعل مع التحديات المعاصرة وإعمال العقل فيها ، للوصول إلى أجوبة

على أسئلتها ، والخروج من قبضتها ، إلى آفاق مستقبل رحيب!!

فهل من مدرك ومجيب!!؟

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa319-231121.pdf>

\*\*\* \*\*

" شبكة العلوم النفسية العربية "

إنجازات الموقع العلمي

[www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynetPart1.pdf](http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynetPart1.pdf)

صفحة الاستقبال

[/http://www.arabpsynet.com](http://www.arabpsynet.com)

الكتاب السنوي 2021 1 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الصدار التاسع)

الشبكة تدخل عامها 21 من التأسيس و 19 على الوجود

21 عاما من الصدح... 19 عاما من الإنجازات

( التأسيس: 2000/01/01 - على الوجود: 2003/06/13 )

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

إن ما يجري في واقع الأمة يشير إلى تأسن الأجيال ، وتورطها في مستنقعات لا يتحقق الخلاص من وبالها إلا بردمها ، وإبادة ما فيها من العطايا والآفات والحشرات

إن الحياة نهر متدفق الجريان ، لا يقبل التردد في حفر بئسة شنعاء.

فعلينا أن نفعل عقولنا ، ونحترم ماضيها ، لا أن نتساقط فيه ، كأننا البعوض الذي يحترق بالضياء.

الخلاصة أن التجديد هو التفاعل مع التحديات المعاصرة وإعمال العقل فيها ، للوصول إلى أجوبة على أسئلتها ، والخروج من قبضتها ، إلى آفاق مستقبل رحيب!!